
شعر
وجوه
خلف الزجاج
الشاعر
محمود سليمان الظّاظا

«وجوهٌ خلف الزجاج»

محمود سليمان الظاظا

شعر

مقدمة

وجوه خلف الزجاج

مقدمة

ليست كل الوجوه التي نراها تشبه حقيقتها، وليست كل الوجوه التي تختبئ خلف الزجاج بعيدةً عن أعيننا؛ فثمة وجوه تسكن الذاكرة، ووجوه تعبر الحياة دون أن تترك أثراً، ووجوه تبتسم فيما تخفي خلف ابتسامتها حكاياتٍ من الألم والحنين والانكسار.

في هذا الكتاب، أحاول أن أنفذ بالكلمة إلى ما وراء الملامح، وأن أقرأ ما لا تقوله العيون، وما تعجز الشفاه عن البوح به. فالزجاج ليس مجرد حاجز يفصل بين عالمين، بل قد يكون مرآةً تعكس وجوهنا الحقيقية، وتكشف المسافات التي صنعتها الأيام بيننا وبين الآخرين، بل وبيننا وبين أنفسنا.

هنا قصائد تحمل وجوهاً متعددة؛ وجوه الحب والغياب، واللقاء والفراق، والفرح والحزن، ووجوه البشر الذين مرّوا في حياتنا، فتركوا في أرواحنا شيئاً لا يمحوه الزمن.

كتبت هذه النصوص من تأملاتي في الحياة، ومن مشاهداتي لما يدور حولي، ومن تلك اللحظات التي يصبح فيها الصمت أكثر بلاغةً من الكلام، وتتحول فيها القصيدة إلى نافذة نطل منها على أعماق الإنسان.

ربما يجد القارئ في بعض هذه الوجوه ملامح أشخاص يعرفهم، وربما يرى في بعضها انعكاساً لوجهه هو.

فليس كل ما وراء الزجاج غريباً عنا، فقد نكتشف ذات يوم أننا نحن أيضاً كنا نقف هناك، نراقب الحياة من خلفه.

محمود سليمان الظاظا

1_

. وجهٌ مَنْ هو؟

أهذا وجهي؟
أم وجهُكِ، يا عزيزتي؟
أم وجهُ صديقي؟
أم وجهُ خصمي؟

أهو وجهُ القمر؟
أم وجهُ السحاب؟
أم وجهُ السماء؟
أم وجهُ البحر؟
أم وجهُ موجِ البحر؟

أهو وجهُ الشاطئ الذهبي؟
أم وجهُ القصيدة؟

قصيدتي...
المضرّجُ جسدُها بالجراح،
والمثقلُ صدرُها بآلامِ أبناءِ الوطن.

فأيُّ وجهٍ أرى؟
وأيُّ وجهٍ أحملُ في ملامحي؟

_2
شواطئُ عينيكِ

على شواطئِ عينيكِ
وجدتُ مراكبي راسيةً،
بربّانها،
وركّابها،
وأشرعتِها الضارعةِ في الفضاء.

على شواطئِ عينيكِ
انطوتْ سنواتُ حياتي،
وتبدّلتْ ملامحُ أيّامي.

حياتي...
ما عادتْ حياتي.

أسمائي...
ما عادتْ أسمائي.

أحلامي...
ما عادتْ أحلامي.

أصبحتِ أنتِ الأحلامَ كلَّها،
وأنتِ الأسماءَ كلَّها،
وأنتِ المركبَ والدَّفّة،
والمرساةَ والشِّراع.

فأنا، منذُ أبحرتُ في عينيكِ،
لم أعدْ أعرفُ لي شاطئاً سواكِ.

3_
أحببتُكِ

أحببتُكِ...
حين عرفتُ نفسي فيكِ،
ورأيتُ ملامحي في مرآةِ روحكِ.

وكرهتُكِ...
حين خسرتُ نفسي فيكِ،
وفقدتُ الطريقَ إليَّ.

لم يبقَ لي بعدكِ
سوى الحزنِ والضياع،
وعتمةِ الليل،
وكآبةِ الغروب.

كأنني أحببتُكِ
لأجدَ نفسي،
ثم فقدتُها
في الطريقِ إليكِ.

4_
شتاء

أعشقُ الجمال،
وجمالُكِ شتاء.

فيه البردُ والثلج،
وفيه الزهرُ والورد،
وفيه بياضُ الغيوم
ونقاءُ المطر.

وفيه كلُّ الماسِ
المتألّقِ في التيجان.

يا لشتاءٍ جمالِكِ!
كم يحملُ من تناقضاتٍ جميلة،
وكم يُخفي من دفءِ الربيع
خلفَ ستائرِ الصقيع.

5_
نساءُ بيكاسو

بعد نهارٍ طويلٍ وشاقٍّ
من العمل في مبنى الجريدة،
في الطابق السادس،
جلستُ على مقعدٍ خشبيّ،
أُطيلُ التأمّلَ في لوحةٍ
لنساءِ بيكاسو.
وفجأةً!
يا للمفاجأة!

تناثرتِ النساءُ خارجَ الصورة،
وتحرّرتِ الوجوهُ من أُطُرِها،
كأنّ اللوحةَ ضاقتْ بأسرارها.

وإذا بسهمٍ أزرقَ عريضٍ
يخترقُ الباب،
ويمضي في اتجاهِ البحر.

ترى،
أكانت اللوحةُ تحلُم؟
أم كنتُ أنا
مَن غادرَ حدودَ الواقع؟

6_
حلمُ الذئب
أخافُ من اللّٰه،
ومن المباحث،

ومن أَمّي،
ومن جارتِنا الطيّبة،
ومن زميلِ العملِ والدراسة.
أخافُ من نظراتِ رجلٍ حادّة،
ومن شرطيِّ المرور،
ومن الهواءِ العليل
المتسلّلِ خلفَ النافذة.
وأخافُ من التقدّميّين
المجتمعين حولَ طاولةِ الحوار!
ما أطولَ حلمَ الذئب!
وما أبعدَ أحلامَ فيفيان!

7
أوراقُ الورد

غداً تنسانا الغرفةَ،
يا أختاه.

الشبّاكُ القصب،
والشموعُ الحمراء،
والمناديل.

غداً تنسانا المقاعد،
وأوراقُ الورد،
والقصائد.

غداً ينساني قنديلُكِ المبحوح،
وشالُكِ المدعوك،
والقبلاتُ المجرّحة.

غداً...
تنسانا غرفتُنا،
يا أختاه.

كأنّ الجدرانَ أيضاً
تتعلّمُ فنَّ النسيان.

8_
وردةٌ معطّرة

أشتاقُ إليكِ، يا سيّدة،
أشتاقُ إليكِ، يا جميلة،
يا أحلى ما في الوجود.

أشتاقُ إليكِ...
وسأُهديكِ وردةً معطّرة،
ووردةً ثانية،
وثالثةً،
ثم باقةً من الورود.
وسأُهديكِ نجمةً متدلّية،
ونجمتين،

وثلاثَ نجمات.

وسأمنحُكِ مواسمَ كاملة،
مواسمَ زهر،
ومواسمَ ثمر.

سأجمعُ لكِ من الربيعِ عطرَه،
ومن السماءِ نجومَها،
ومن قلبي كلَّ ما تبقّى
من حكاياتِ الشوق.

9_
لا ترحلي

أرجوكِ، لا ترحلي،
لا تتركيني وحيداً.

فرحيلُكِ يُجدّدُ أحزاني،
ويُضرمُ النارَ

في سهولي وضفافي.
أرجوكِ، لا ترحلي،
فإنّ غيابَكِ
يُطفئُ شيئاً من روحي.

لا ترحلي...
كي لا يحزنَ القمر،
وتنامَ النجوم،
وتبقى السماءُ
بلا حكايات.

10_
زينة
زينةُ روايةٌ كتبتُها أنا،
وشمعةٌ تحترق.

لم أختلقْ أخبارَها،
ولم أُلفّقْ حكاياتِها،
فهي وُلدتْ في خيالي،
وعاشتْ في صدري.

كما وُلدتْ في خيالكِ،
وعاشتْ في صدركِ.

زينة...

مَن يشتري لوحتي
لأجلبَ لها سواراً وفستاناً؟

لا أحد.

ولم يشترِ أحدٌ ورودي،
فذبلتْ على مهل،
وانطفأتْ ألوانُها.

لقد حسدَ الناسُ الموسم،
وحين بخلوا على الوردِ بالماءِ،
عاتبوا الربيعَ لأنّه رحل.

_11

المهزوم

البلدُ الذي أحببتُه
نأى عنّي،
وغفا في ذاكرتي.

تستطيعُ أن تُطلقَ عليه
اسمَ المهزوم.

في بلدٍ تتنازعه الخلافات،
وتنهشه الصراعاتُ والضغائن،
لا أحدَ يدري
متى تنفجرُ الحروبُ من بين أضلعه.

وسألتُ نفسي:
أليس لهذا الواقع من نهاية؟
أليس لهذا الليل من فجر؟

إذا كنّا اليومَ عاجزينَ عن التعبير،
فإنّ مهمّةَ التعبير
تقعُ على عاتقِ الأجيالِ القادمة.

لبنانُنا سقيم،
مكلّلٌ باليأسِ والجورِ والفراغ،
تسوقُه أخيلةُ حكّامه
إلى مصيرٍ مجهول.

هناك،
حيث تشقُّ السكينُ طريقَها
بلطفٍ إلى الأحشاء،

وحيث لا ماءَ،
ولا هواء.

أيُّ وطنٍ هذا
الذي يُذبحُ بصمت،
ويُتركُ لمصيره
بين أيدي العابثين؟

_12
زينة

زينة...
روايةٌ كتبتُها أنا،
وشمعةٌ ما زالت تحترق.

لم أصنعْ لها تاجاً،
لأنّني فقير،

ولم أملكْ سوى قلمي
وبعضِ الأحلام.

مَن يشتري قلميٍ ولوحتي
لأجلبَ لها سواراً؟

لا أحد.

ولم يشترِ أحدٌ ورودي،
فذبلتْ،
وانحنتْ سيقانُها
على أبوابِ الانتظار.

لقد حسدَ الناسُ الموسم،
وأغلقوا نوافذَهم
في وجهِ الربيع.

13

الطموحُ اللبناني

كان الدمارُ يمتدُّ
على مدِّ النظر،
وكانت الحربُ التي عصفتْ بلبنان
قد طالتْ أرضَ الوطنِ كلَّها،
فلم تُبقِ ولم تذر.

في الشوارع،
وفي المساكن،
وعلى الأرصفة،
كان الدمارُ مشهداً مخيفاً
يتحدّى الإنسانَ وإرادتَه.

لكنّ اللبنانيَّ
لا يعرفُ اليأس.
تلك صفةٌ تلازمُه
أينما حلَّ وارتحل،

وتسكنُ في أعماقِه
مهما اشتدّت المحن.

لقد عبّرنا جميعاً
عن دورِنا في الإنماءِ والإعمار،
وعن أحلامِنا بخطّةٍ للنهوض،
وعن توقيتِ العودة
إلى بناءٍ ما تهدّم.

أمّا أنا،
فما زالت عيني معلّقةً
بتلك الذراعِ الممدودة
من أعماقِ الأرض
حتى شرفاتِ السماء.

إنّه الطموحُ اللبناني،
طموحُ الإنسانِ الذي ينهضُ

كلّما حاولَ الركامُ أن يُسقطَه.

المواطنون اللبنانيون الشرفاء،
على اختلافِ طوائفِهم ومذاهبِهم،
وقفوا وقفةَ عزٍّ وإباءٍ،
كما وقفتِ المقاومةُ
دفاعاً عن أرضِ الوطن.

نعم...
إنّه الطموحُ اللبناني،
يرفضُ الاستسلام،
ويرفعُ التحدّي
في وجهِ المستحيل.

14_
لأجلكِ

لأجلكِ،
يا صاحبةَ الاسمِ المنير،
والوجهِ الناعمِ الجميل،
والشعرِ الأسودِ الطويل.

عيناكِ تُسهرانِ ليلي،
ورمشاكِ
كرمشَي غزالةٍ
يُحاكيانِ جمالَ البراري.

نظرتُ في وجهِكِ،
فقرأتُ الجمالَ والأنوثةَ والدلال،
ورأيتُ في ملامحِكِ
قصيدةً لا تنتهي.

لأجلكِ،
كم نظمتُ من الألحان،

يا صاحبةَ الأطرافِ الحسان!

وكم تركتُ للخيالِ
أن يُكملَ ما عجزَ عنه الكلام.

15_

. بحثتُ عنكِ

بحثتُ عنكِ
حيثما استطعت.

سُحتُ في الدنيا،
من شرقِها إلى غربِها،
ومن غربِها إلى شرقِها.

دخلتُ المدنَ
واحدةً تلوَ الأخرى،
وسألتُ الطرقات،

والرياح،
والبحار.

لكنّني
ما كنتُ لأجدَكِ.

فإلى أين رحلتِ؟
وإلى أين ذهبتِ؟

تركتِ وراءَكِ حبّاً
لن يخبو،
وأحلاماً مبعثرةً في الهواء،
كزَبَدِ البحرِ
يتطايرُ فيصفعُ الوجوه.

قولي لي...
قولي...

متى؟
وأين؟
وكيف؟

وأيُّ طريقٍ
أخذكِ بعيداً
عن عينيَّ؟

16_

جليدُ أفكاركِ

قالت:
أرجوكَ أن تخرجَ من حياتي،
وأن تأخذَ معكَ
أحلامَنا التي حلمناها،
وأفكارَنا التي رسمناها،
وصروحَ الحبِّ

التي بنيناها
فوقَ السهولِ والجبال.

قالت:
أرجوكَ أن تسحبَ عطرَك
من وسادتي،
وأن تُبعدَ أنفاسَك
عن جسدي.

أبعدني عن جليدِ أفكارك،
وعن صقيعِ أحلامك،
واتركْ لي ما تبقّى
من دفءِ الذكريات.

ثم ارحل...
فبعضُ الحكايات
لا تنتهي بالوداع،

بل تبدأَ منه.

17_

. أمسيةٌ شعرية

أنتِ أمسيةٌ شعرية،
وقصيدةٌ عاطفية،
لعلّ صاحبَها
قد ماتَ قبلَ اليوم.

أنتِ امرأةٌ ساكنة،
متلوّنة،
محفوفةٌ بالريح،
ومأهولةٌ بالتعصّب.

امرأةٌ غريبة،
وغُربتُكِ غايةٌ في التعقيد.

أنتِ قاموسٌ عربيٌّ أجنبيّ،
من تلك القواميس
التي تعلو سريري،
وتختلطُ فيها اللغاتُ
كما تختلطُ الحكايات.

أنتِ جهاتٌ مبعثرة،
وبحارٌ لا تُبالي،
وموجٌ لا يعرفُ الاستقرار.

تصارعينَ البحر،
وتُجابهينَ الموج،
وتركبينَ الخطر.

فمن أيِّ الجهاتِ أتيتِ؟
وإلى أيِّ المرافئ
تأخذُكِ الريح؟

18_
. شاعري المدلّل

قالت:
غداً يسافرُ حبيبي،
غداً يسافرُ قمري،
وشاعري المدلّل.

سيسافرُ بعيداً،
وحيداً،
حاملاً بين يديه
تذكاراً منّي.

صورتي الجميلة،
ومنديلي المدعوك،
وألفَ ألفِ وردةٍ معطّرة.

وسأضِعُ في حقيبتِه
نجمةً ونجمتين،
وقصيدةً،
وكتاباً من الشعر.

ليأخذَ معه
شيئاً منّي،
كلّما طالَ الطريق،
وكلّما أوحشَهُ السفر.

غداً يسافرُ حبيبي...
فكيفَ سأقنعُ قلبي
أنّ المسافاتِ
لا تعني الفراق؟

_19
9. ملكُ البحار

سأضعُ يدي بيدِ ملكِ البحار،
وأقفُ أمامَ الأمواجِ المتلاطمة،
أتأمّلُها،
وأنتظرُ إلى أين ستحملُني.

على أيِّ شاطئٍ
ستُرسيني؟
وأيَّ برٍّ أمانٍ
سيكونُ محطّتي الأخيرة؟

سأضعُ يدي بيدِ ملكِ البحار،
وأتركُ للموجِ
أن يكشفَ أسرارَ الطريق.

منتظراً
ما ستؤولُ إليه النتائج،

وما تخبّئهُ الأيّامُ القادمة
من مفاجآت.

20_

الذئابُ الماكرة

خرجتْ أصواتٌ
من أبناءِ جِلدةِ بني الماعز،
تدعو إلى إبرامِ اتفاقيّةِ سلام
مع فصيلةِ الذئابِ الماكرة،
المخادعةِ والأشرار.

ذئابٌ كبار،
لم يسلمْ من مكرِها
خروفٌ وديع،
ولا قطيعٌ آمن.

غدرُها،
وسطوتُها،
وأذاها،
وشرُّها المستطير،
كلّها شواهدُ
على تاريخٍ من العدوان.
هاجمتْ،
ونهشتِ اللحوم،
وكسرتِ العظام،
ولم تُبقِ للضعفاء
سبيلاً إلى النجاة.
لم تسلمْ مزرعةٌ مسيّجة،
ولا سهلٌ،
ولا تلّة،
ولا هضبة،

ولا جبل،
ولا وادٍ،
ولا مستنقعٌ ضيّق،
من سطوتِها وغطرستِها.

فأيُّ اتفاقيّةِ سلامٍ
يمكنُ أن تُعقدَ معها؟
وأيُّ أمنٍ وأمانٍ
يمكنُ أن يعيشَهُ الضعفاءُ بجوارِها؟

وعلى أيِّ فجرٍ
سيستيقظُ أولئك الخراف
بعد كلِّ هذا الشرِّ المستطير؟

فالذئبُ الذي لا أمانَ له،
والذي تنبذُهُ حيواناتُ الغابة،
حتى إنّ بعضَ زعماءِ الذئاب

يتمنّون لو أقاموا بينَهم وبينَه
سدّاً منيعاً،
أو رَدماً لا يستطيعُ عبورَه،

كيف يُؤتمنُ جانبُه؟

وكيف يُصدَّقُ وعدُه،
والغدرُ يسكنُ أنيابَه؟

ليس كلُّ سلامٍ سلاماً،
وليس كلُّ مَن مدَّ يدهُ
جاءَ طالباً للأمان.
21
قبضةٌ من حديد

في جهةٍ ما
من جهاتِ العالم،
يقفُ جبلٌ شامخ،

عربيٌّ مهيب،
متينٌ وباسل،
رصينٌ وشجاع.
يتحرّكُ بحريّة،
يناورُ ويباغت،
يواجهُ ويجابه،
ويُديرُ معاركَه
في السرِّ والعلن.
يراقبُ الأحداثَ المصيريّة
بإمعانٍ ويقظة،
ويُعينُ الجبالَ الصغار،
ويجدّدُ لهم العهدَ والبيعة،
ويوجّهُ خطواتِهم
بدقّةٍ فائقة.

جبلٌ شامخ،
هادئٌ ومتّزن،
رصينٌ وعالي المقام،
عربيٌّ باسل.

وبتضافرِ جهودِ
جبالٍ شامخةٍ أخرى،
في جهاتٍ متفرّقةٍ من العالم،
تتشكّلُ قوّةٌ
مرئيّةٌ وغيرُ مرئيّة.

قوّةٌ تسعى إلى حكمِ العالم،
بالرفقِ واللينِ حيناً،
وبالنارِ والحديدِ حيناً آخر.

إنّها قبضةٌ من حديد،
حين تُقرّرُ أن تفرضَ حضورَها.

22_
محورُ الشرّ

يفاخرُ محورُ الشرّ،
ويكابرُ ويباهي باستمرار،
بما يمتلكُه من قوّةٍ عسكريّة،
بحراً وبرّاً وجوّاً،
ومن قدراتٍ عمليّة
على أرضِ الواقع.

يفاخرُ بما لديه
من تقنياتٍ حديثة،
وتطوّرٍ تكنولوجي،
وسلاحٍ نوويّ،
وإمكاناتٍ ماليّةٍ ضخمة،
وأسلحةٍ ثقيلة

يهدّدُ باستخدامِها
متى شاءَ ومتى اقتضى الأمر.

يهدّدُ بعضَ دولِ الجوار،
ويتوعّدُ بمحوِ قرىً وبلداتٍ
وعواصمَ ومدنٍ بأكملِها
عن خارطةِ العالَم.

لكنّهم لا يُدركون
أنّ قدرةَ اللّٰه سبحانه وتعالى
أعظمُ من كلِّ ما يمتلكون.

يا لسخافةِ العقول!
صدقوني، أعزّائي،
إنّ الغرورَ يعمي البصائر،
ويجعلُ أصحابَه
يظنّون أنّ القوّةَ لا تُقهَر.

يقولُ اللّٰهُ سبحانه وتعالى
في القرآنِ الكريم:
بسم اللّٰه الرحمن الرحيم
﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّٰهُ وَاللّٰهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.
سأُبيّنُ حقيقةَ الأمر
من خلالِ قصّةِ فرعون،
ذلك الملكِ الفاجر،
الفاسدِ والمتكبّر،
الطاغيةِ الذي اغترَّ بسلطانِه.
كان يمتلكُ جيشاً كبيراً،
مجهّزاً بما كان متاحاً
في عصرِه من أدواتِ الحرب،
من عتادٍ وسيوفٍ وخناجرَ وخوذات،

وعرباتٍ عسكريّةٍ تجرُّها الخيول،
فضلاً عن الأموالِ الطائلة
ومظاهرِ القوّةِ والسلطان.
لكنّ تلك القوّةَ كلَّها
لم تنفعْه حين جاءتِ المواجهة
بينه وبين نبيِّ اللّٰه موسى
عليه السلام.

هناك،
استخدمَ موسى عصاه،
فشقَّ اللّٰهُ له البحر،
وجعلَ فيه طرقاً يابسة،
وصارتِ المياهُ
كالجبالِ الشامخة.

كانت حادثةَ مهيبة،
تُظهرُ أنّ قدرةَ اللّٰه
فوقَ كلِّ قدرة،
وأنّ ملكَ الأرضِ
لا يملكُ أمامَ إرادةِ اللّٰه
شيئاً.

إنّ بعضَ عبادِ اللّٰه الصالحين
لهم مكانةٌ عظيمةٌ عنده،
وقد يكرمُهم بالكرامات،
ويرفعُ منازلَهم.

فلا محورُ شرّ،
ولا قوّةُ ظلام،
ولا طاغيةٌ مهما استبدَّ وتجبّر،
يستطيعُ أن يتجاوزَ قدرةَ اللّٰه
أو أن يفلتَ من عدلِه.

مهما بلغَ الطغاةُ
من ظلمٍ واستعلاء،
ومهما تمادَوا في استبدادِهم،
فإنّ عاقبةَ الظلمِ إلى زوال،
وعاقبةَ الطغيانِ إلى هزيمة.

وسيهزمُ اللّٰهُ الباطلَ
حين يشاء،
ويُبقي الحقَّ شاهداً
على زوالِ الطغاة.

وإنّ غداً لناظِرِه قريب.

_23

من خلفِ الزجاج

ينظرُ من خلفِ زجاجِ الأيّامِ الغابرة،
فيرى أيّامَ حياتِه،

وسنواتِ عمرِه،
وهي تعبرُ من أمامِه
مرورَ السحاب.
مناسبةٌ سعيدة،
ذكرى من الذكريات،
لحظةٌ عابرة،
وصورةٌ قديمة.
كلُّها تظهرُ للحظات،
ثم تختفي
في زحامِ الشارعِ المكتظّ،
بين ضجيجِ السيارات،
وأصواتِ المارّة،
وأنفاسِ العابرين.

يمضون في طرقاتِ الحياة،
دون أن يلتفتوا
إلى ما يختبئُ خلفَ الزجاج.

وفي الحلم،
يمضي الجميعُ
نحوَ حتفِهم الأخير.

ويبقى هو،
خلفَ الزجاج،
يُحصي ما تبقّى
من صورِ العمر.

_24

. خطوةٌ واحدة

خطوةٌ واحدة،
قد توصِلُكَ إلى المريخ،

بعد أن تُفرغَ رأسَكَ
من ضجيجِ هذا الشارع،
ذلك الضجيج
الذي يثقبُ أذنَ غرفتي
كلّما غطستُ في النوم.

خطوةٌ واحدة،
تفصلُ بين الأرضِ والخيال،
بين صخبِ المدينة
وسكونِ المجرّات.

فأحياناً،
لا نحتاجُ إلى مركبةٍ فضائيّة،
بل إلى لحظةِ صمتٍ واحدة،
نغادرُ فيها ضجيجَ العالم.

_25

بلا براري
أعلمُ أنّ الجيادَ
بلا براري،
ولا مواسم،
ولا ربيع.
وكلّما مرّتْ عرباتُ الغجر
بصحراءِ عيوني،
وبخيامِ عشيرتي
التي ما زالت،
من فرطِ ضيقِ أفقِها،
تطاردُ الظبية،
كانتِ الريحُ تحملُ إليَّ
أنفاسي،
وتنهيداتي،
وأشعاري.

قلبي،
ودقّاتُ قلبي،
وعيناي...
خذيها كلَّها،
قبلَ أنٍ أفقأَ عينيَّ
تخليداً لذكراكِ الجريحة.

لقد أعيَتْني،
وأعنتُها بدوري
على نصبِ خيمةِ الحبِّ المستحيل.

فما عادتْ لنا براري،
ولا عادتْ للجيادِ
مساحاتٌ تركضُ فيها.

26

الحلولُ المصيريّة

كافّةَ الحلولِ المصيريّة
المتعلّقةِ بلِبنان
تبدو مؤجّلةً
إلى ما بعدَ الخريفِ العربي،
والشتاءِ العربي،
والربيعِ العربي،
وربّما الصيفِ العربي.
مؤجّلةٌ إلى أجلٍ غيرِ معلوم،
وحتى إشعارٍ آخر.
كأنّ الأوطانَ
معلّقةٌ على فصولِ الانتظار،
وكأنّ مصائرَ الشعوب
لا تُكتبُ إلا في دفاترِ التأجيل.

فمتى يحينُ موعدُ الحلول؟
ومتى يخرجُ لبنان
من روزنامةِ الانتظار؟

_27

صاحبةُ الراءَيْن

لأجلِ عينيكِ عشقتُ حرفَ الراءِ،
ولأجلِ قمرِ وجنتيكِ أحببتُ الراء.

لأجلِ نورِ وجهكِ تعلّقتُ بحرفِ الراءِ،
ولأجلِ نصلَي سيفَي حاجِبيكِ كتبتُ
قصائدي، وعشقتُ نغمةَ الحبِّ التي
تسكنُ قلبَكِ.

ولأجلِ الندمِ على ما ضيّعتُ من
عمري، ظللتُ أبحثُ عن حرفٍ يعيدُ
إليَّ ما فقدت.

فأنتِ الياءُ بعدَ التاءِ والميمِ والنونِ، أنتِ التمنّي، وأنتِ الحلمُ الذي كلّما اقتربتُ منه ابتعد.

أُعرّفُ التمنّي، يا صاحبةَ الراءَيْن!

يا راميةَ السهامِ في قلوبِ القانعين، يا مَن تُشعلينَ نارَ الفؤادِ عشقاً في قلوبِ الآمنين.

يا صاحبةَ الراءَيْن، ما ذقتِ طارقةَ النوى، ولا أقامتْ همومُكِ في بالي طويلاً.

أسقيتِني كأسَ الندامة، حتى إذا ما سكرتُ بنشوةِ عشقِكِ، تخلّيتِ عنّي، وتولّيتِ.

طلبتُ الراءَيْن، فلم أنلْهما، ولم أحظَ حتى براءٍ واحدة.

يا للمفارقة!

عشقتُ الحروفَ لأجلِكِ، وأضعتُ عمري في سبيلِكِ، ثم عدتُ من حكايتِكِ بلا حروف، وبلا عنوان.

هكذا... نعم، هكذا!

أموتُ وفي نفسي حرفانِ لم أنطقْ بهما، وقصيدةٌ لم تكتمل، وحكايةُ عشقٍ ظلّت معلّقةً بين الراءِ والندامة.

الخاتمة

خاتمة

وجوه خلف الزجاج

وهكذا نصل إلى نهاية هذه الرحلة بين الوجوه التي رأيناها، والوجوه التي تخيلناها، والوجوه التي بقيت عالقة في زوايا الذاكرة.

لقد كان الزجاج في هذه القصائد أكثر من حاجز شفاف؛ كان فاصلاً بين الحقيقة والوهم، وبين ما نُظهره للآخرين وما نخفيه في أعماقنا. خلفه وجوه تبتسم، وعيون تنتظر، وقلوب تحمل من الحكايات ما لا تستطيع الكلمات احتواءه.

اكتشفت، وأنا أكتب هذه النصوص، أن الإنسان ليس وجهاً واحداً، وأن

وراء كل ملامحٍ حكايةٌ، ووراء كل صمتٍ اعترافاً مؤجلاً، ووراء كل نظرة عالماً لا يعرفه سواه.

قد نغادر الأماكن، وقد تتبدل الوجوه، وقد تنطفئ بعض الذكريات، لكن ثمة أشياء تبقى معلقة في أرواحنا، كأنها لم تعرف طريق الرحيل.

إلى القارئ الذي رافقني بين صفحات هذا الكتاب، أترك هذه الوجوه أمانةً في ذاكرته، وأتمنى أن يجد بينها وجهاً يشبهه، أو حكايةً عاشها، أو شعوراً ظنّ يوماً أنه الوحيد الذي اختبره.

فربما لا تكون المسافة بيننا وبين الآخرين سوى لوح من الزجاج، نحتاج أحياناً إلى لمسة صادقة كي نراه، وإلى قلب شجاع كي نتجاوزه.

فالوجوه تختفي خلف الزجاج، لكن الحكايات تبقى...

محمود سليمان الظاظا

بيروت _ لبنان

١٣ تشرين الثاني ٢٠٢٦